سياقات المغالطة في خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس

الباحثة: آمال السيد محمد عسران

الملخص باللغة العربية:

استهدف الدراسة الوقوف على سياقات المغالطة والتضليل في خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس والتعريف بالخطأ الاستدلالي لتلك المغالطات. واعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي بشقيه الوصفي والتحليلي لرصد الخطاب المغالط في منشورات الأزمة في الفترة من يونيو إلى ديسمبر ٢٠١٩، والفترة من يونيو إلى أكتوبر ٢٠٢٠. من خلال عينة تتكون من أربع صفحات لمستخدمي فيسبوك تم اختيارها وفقا لمجموعة محددة من المعايير. كما اعتمدت الدراسة على أداة تحليل الخطاب للتعرف على المعاني الكامنة داخل الخطاب وما يشوبها من مغالطة. وخلصت الدراسة إلى أن خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس تضمن كثيرا من المغالطات، منها مغالطة الثنائية الزائفة ومغالطة الاحتكام إلى عامة الناس ومغالطة الاحتكام إلى سلطة ومغالطة الاحتكام إلى القوة ومغالطة تجريح الشخص، إضافة إلى مغالطة الألفاظ الملقمة ومغالطة رجل القش. وأوصت الدراسة بمزيد من الاهتمام بدراسة خطاب المغالطة دراسة نقدية والاهتمام بتنمية مهارات التفكير النقدي، كما أوصت بضرورة متابعة خطاب المغالطة على فيسبوك وتصويبه حتى لا يقع الجمهور تحت سيطرة الخطاب المغالط وما يشكله من خطر على أمن وسلامة المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المغالطة، الخطاب، الأزمة، فيسبوك.

Abstract

The study aims to identify the contexts of fallacy and misinformation among Facebook users during the "De Lesseps" crisis and to identify the inferential error, but the fallacies. The study relied on the media survey approach, both descriptive and analytical, to monitor misleading discourse in posts in the period from June to December ٢٠١٩, and the

period from June to October ٢٠٢٠, by creating four pages for Facebook users that were selected according to a specific type of example. The study is also based on the discourse analysis tool on the meanings that exist within the discourse and what is distorted by it.

The study concluded that the discourse of Facebook users during the "De lesseps" statue crisis contained many fallacies, including the fallacy of false dualism, the fallacy of appealing to the general public, the fallacy of appealing to authority, the fallacy of appealing to force, and the fallacy of slandering a person, in addition to the fallacy of flattering words and the straw man fallacy. The study recommended more attention to critically studying fallacious discourse and attention to developing critical thinking skills. It also recommended the necessity of following up on fallacious discourse on Facebook and correcting it so that the public does not fall under the control of fallacious discourse and the danger it to the security and safety of society.
.Keywords: fallacy, discourse, crisis, Facebook.

المقدمة

أتاح موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك لمستخدميه فرصة إعداد محتوى إعلامي يتميز بالبساطة وسرعة الانتشار. ومن خلاله استطاع مستخدمو الموقع طرح الموضوعات التي تمثل أهمية بالنسبة لهم وتستقطب كثيرا من المهتمين بها. وقد أسهمت ميزات التفاعل التي يتيحها الموقع مثل التعليق ومشاركة المحتوى في خلق حالة من النقاش المفتوح حول تلك الموضوعات، وكثافة تداول المادة المنشورة وسرعة انتشارها، فأصبح وسيلة المهمشين لطرح قضاياهم والتعبير عن آرائهم. بل أصبح فيسبوك وسيلتهم لإيصال صوتهم إلى المسئولين ومتخذي القرار. لذا كان من الطبيعي أن

ينتهج مستخدمو فيسبوك كل السبل التي تعزز خطابهم فتجعله أكثر جذبا وإقناعا، بل وأكثر تأثيرا خاصة في وقت الأزمات.

على جانب آخر، في بورسعيد وبعد افتتاح قناة السويس بثلاثين عاما، قررت شركة قناة السويس تحت الإدارة الأجنبية أن تضع تمثالا لفرديناند دليسيبس صاحب امتياز حفر القناة عند مدخلها الشمالي في بورسعيد. ويظل التمثال في موقعه ما يقرب من ستة عقود حتى يسقطه مواطنو بورسعيد وفدائيوها في ديسمبر ١٩٥٦ بعد جلاء العدوان الثلاثي عن مصر، ليكون هذا الحدث مثار أزمة تمتد لعقود. فقد أثار مصير التمثال اهتمام أبناء بورسعيد وكثير من المثقفين والسياسيين والمهتمين بالتاريخ. ومع تباعد الزمن منذ إسقاطه تغيرت بعض الاتجاهات نحوه ونحو ما يمثله، فالبعض يراه رمزا للوجود الاستعماري الذي أضر بمصر فنهب خيراتها واستعبد شعبها، فيذكر لصاحب التمثال احتياله للحصول على امتياز حفر القناة بشروط مجحفة أضرت بمصر وأدت إلى إغراقها في مستنقع الديون، ويربط بين صاحب التمثال وبين موت عشرات الآلاف من المصريين بسبب السخرة في حفر القناة، وصولا إلى خيانة عرابي والسماح بعبور القناة للأسطول البريطاني واحتلال مصر. في حين يراه آخرون صاحب فكرة حفر قناة السويس في العصر الحديث وسببا في وجود الممر الملاحي الأهم الذي يربط الشرق بالغرب، وسببا في تعظيم دخل مصر من عائدات القناة. وانبرى هذا الفريق يدفع في اتجاه إعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية في المدخل الشمالي لقناة السويس، في حين عارض الفريق الآخر. واستمر هذا الجدل لعدة عقود، غير أنه بظهور موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك تم إعادة تداول الأزمة بشكل أشد قوة، فثار الجدل وتحولت مسألة إعادة التمثال إلى أزمة ثقافية اجتماعية تاريخية سياسية، وظهرت الاختلافات الشديدة بين الفريقين المؤيد لإعادة التمثال والمعارض لذلك، واستخدم كلاهما أدواته الخطابية لدعم موقفه ودحض موقف الآخر، فعرضوا الرأي وتداولوا المعلومة وقدموا الحجة.

غير أن بعض الحجج التي تضمنها خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس خالطتها كثير من المغالطات. مغالطات يمكن ملاحظتها لأول قراءة، ونستطيع رصدها بشكل علمي بعد التدقيق. فالاستدلال على صحة الرأي جاء في مرات كثيرة مشوها وغير مقنع، بل غير منطقي. ووجدت الباحثة أنه من الضروري الوقوف على تلك المغالطات ودراستها، بهدف لفت الانتباه إليها، والتحذير من الوقوع فيها، في محاولة للوصول إلى مستوى أفضل للحوارات المجتمعية. فالجميع المهتم بهذه النوعية من الدراسات الإعلامية، والمهتم بالدراسات الاجتماعية، بل والكثير من العامة يلحظ ما وصل إليه مستوى النقاش والحوار في المجتمع، خاصة أثناء الأزمات، حيث

تبلغ اللغة المشحونة بالخطاب ذروتها، نتيجة الغضب الذي يصاحب الأزمة. وتكثر المغالطات نتيجة التعصب للرأي، والتحيز إما لمرجعيات فكرية وثقافية مختلفة أو لمصالح شخصية.

إن تقديم الحجج والأدلة – التي تبرر وتدعم تَبَني الأشخاص لرأي معين ودعمه والترويج له، وبناء المواقف وفقا له – ضروري لإقناع الآخرين، خاصة إذا كان هدف منتج الخطاب تشكيل رأي عام مؤيد لرأيه. وبغير تلك الحجج والتفاسير تكون تلك الآراء والأفكار مجرد رغبات شخصية وميل نفسي، ليس لها القدرة على الانتشار والتأثير بين الجمهور، ولذلك يجب أن تكون تلك الحجج والتفاسير سليمة غير مُغالِطة.

لقد ظهر واضحا تمسك وتعصب طرفي الأزمة– المعارضون لإعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية والمؤيدون لإعادته– بموقفهما إلى آخر مدى. وإذا كان التمسك بالرأي والتعصب سمة تميز خطاب الأزمات بشكل عام، فقد أدى ذلك إلى وجود كثير من المغالطات المنطقية في خطاب الأزمة، ما دفع الباحثة إلى رصد المغالطات وتصنيفها، للإجابة عن تساؤل عن مدى قدرة منتج الخطاب على التعبير عن الفكر والتحيز لاتجاه ما دون الوقوع في مغالطات منطقية. وماذا عن طبيعة تلك المغالطات وتصنيفها؟ ثم مدى انتشارها في الخطاب؟

وإخلاصا لعملية البحث العلمي حاولت الباحثة توصيف تلك المغالطات داخل خطاب الأزمة، وكشف أساليب الخداع التي استُخدِمت في عملية الاستدلال على صحة الرأي بين طرفيها، المؤيد لإعادة التمثال والمعارض لذلك، وكشف مواطن الخلل في الخطاب سواء كانت متعمدة أو غير متعمدة. ذلك لأنه بإمكان تلك المغالطات أن تسهم في خلق حالة من الاقتناع الزائف والرأي العام المضلل. فمجال الجدل والحوار مخادع ويعتريه الكثير من الاستمالات تؤثر في سلامة نتاج عملية التواصل، ولهذا فقد جرت عملية تفكيك للحجج الواردة خلال الخطاب للوقوف على مدى انسجامها مع العقل والواقع. ولمزيد من الدقة فقد تم الرجوع إلى كتب ودراسات المغالطات غير الصورية – على قلتها – لتصنيف ما تم رصده والتعريف به بشكل علمي.

الدراسات السابقة

–هدفت دراسة (مصطفى عماد عبد الحكيم مصطفى ٢٠٢١)[١] إلى استجلاء طريقة عمل التفكير الناقد في مواجهة المغالطات والفكر المغالط الذي يتمثل في حجج فاسدة ومعتقدات باطلة ودعاوى كاذبة وإشاعة الأفكار المنحازة والآراء الزائفة. وسعت الدراسة إلى الوقوف على أسس التفكير الناقد وسمات المفكر الناقد ودورهما في تشكيل الوعي. وخلصت الدراسة إلى أن هناك أثر بالغ للمغالطات المنطقية في تشكيل الوعي الفردي والجمعي خاصة في عصر ثورة

المعلومات ووسائل الاتصال الرقمي. وأن وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي نافذة لترويج الأفكار المغلوطة التي تشكل الوعي وتحدد الهوية، ما يستوجب ضرورة التفكير النقدي لإيقاظ العقل.

-اهتمت دراسة (حازم محمد حمادي الصالح ٢٠٢١)[٢] بالتعرف على أهم الأساليب المستخدمة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في التلاعب بعقول الشباب وتزييف الوعي والكشف عن الآثار السلبية لاستخدام تلك الأساليب. وتوصلت الدراسة من خلال النتائج إلى كثير من هذه الأساليب ومنها الأخبار الكاذبة وتزييف الحقائق والتضليل الإعلامي بوسائله المتعددة، كالتلاعب بالمعلومات وإهمال خلفية الأحداث والخلط بين المعلومات الصحيحة والخاطئة وصرف الانتباه والتحيز وغيرها من الوسائل. وفي ضوء النتائج جاءت التوصيات بضرورة وجود مادة للتربية الإعلامية تسهم في صحة تلقي المعلومة وتنقيحها. وإجراء دراسات علمية بشكل دائم للمضامين المتاحة على مواقع التواصل الاجتماعي، وتوفير خدمات الاتصال للرد وتقديم المعلومات الصحيحة.

-اعتنت دراسة (رائد مجيد جبار الزبيدي ٢٠٢٠)[٣] بتسليط الضوء على الخطابات السفسطائية المنحرفة التي تكشف الصراعات السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية. والتي أصبحت عنصرا هاما في الحوار يستند إليه من يعجز عن صوغ الحجج المنطقية ويبتعد عن المطارحة وقبول الرأي. وذلك من خلال دراسة خطاب الحوار في برنامج الاتجاه المعاكس على قناة الجزيرة. وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها أن أغلب أساليب المغالطة تمثلت في حوارات البرنامج. وأن الحوارات لم تنطلق من أهداف مشتركة بين المتحاورين بقدر ما بحثت عن الغلبة والتأثير على الرأي العام. وأن المغالطة تستلزم مهارة وبراعة للتغلب على الخصم والاستهزاء به.

-عنيت دراسة (ندى بنت حمزة بن عبده خياط ٢٠٢٠)[٤] بالوقوف على القواعد السليمة لتحصين الشباب من سيل الشبهات الفكرية المعاصرة وكيفية التعامل معها. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي النقدي الذي يقوم على تتبع الشبهات الفكرية المعاصرة وتوصيفها ثم وضع آلية ضوابط محددة للتعامل معها. وتناولت الدراسة في أحد مباحثها المزالق والمغالطات المنطقية وقدمت أمثلة لتلك المغالطات. وخلصت الدراسة إلى كثير من النتائج أهمها أن التعامل مع الشبهات الفكرية يحتاج إلى مهارة وتقيد بالضوابط المنهجية. وأن الكشف عن المغالطات المنطقية مطلب مهم وأن أكثر تلك المغالطات انتشارا: مغالطة رجل القش ومغالطة الاحتكام إلى الجهل ومغالطة السبب الزائف. وجاءت أهم التوصيات بضرورة تبني الجامعات لمقررات علوم المنطق وقواعد الجدل والمناظرة. وأن يُعِد أهل الاختصاص مرجعا متخصصا في مبحث المغالطات المنطقية لافتقاد المكتبة العربية لكتاب منهجي في هذا التخصص.

-تسعى دراسة (ياسر محمد علي الهبول والسيد محمد علي إسماعيل ٢٠١٩)[٥] إلى التعرف على التهديدات التي تشكلها وسائل التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى الشباب السعودي. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الكيفي، لدراسة كيف تعمل تلك الوسائل من خلال ما يعرف باستراتيجيات المغالطة المنطقية التي تبدو في ظاهرها منطقية ولكنها في الحقيقة أفكار مضللة. وخلصت النتائج إلى تهديد وسائل التواصل الاجتماعي للأمن الفكري لدى الشباب لعدة أسباب: أهمها السيولة المعلوماتية التي تقدمها وسائل التواصل الاجتماعي والتي تحتوي على قيم وعادات وثقافات غريبة لا تخضع لأي مراقبة، مما يسهل تمرير معلومات خاطئة يستخدمها أصحاب الأجندات السوداء بما يعرف بالمغالطات المنطقية التي تهدف إلى غايات تخريبية. ونصحت الدراسة بدمج مهارات التعريف الناقد داخل المقررات الدراسية.

-تهدف دراسة (محسن جلوب الكناني وجهاد كاظم العكيلي ٢٠١٨)[٦] إلى الكشف عن المغالطات المنطقية التي تم استخدمها أطراف الحوار في البرامج الحوارية على قناة الجزيرة الفضائية وتحديد الموضوعات التي استخدم المحاورون المغالطات المنطقية بكم أكثر خلالها. وخلصت نتائج الدراسة إلى أن المغالطات المنطقية كانت حاضرة بشكل كبير في كل أنواع الحوار وأشكاله وموضوعاته، وهو ما يعد محاولة لاستغلال الجمهور والتأثير عليه بما يخالف العقل. وأوصت الدراسة بإيلاء اهتمام أكبر بموضوع المغالطات المنطقية في المضامين الإعلامية. وعمل ورش وندوات حول الموضوع للعاملين في هذا المجال، وتدريس هذه المادة في كليات وأقسام الإعلام.

مشكلة الدراسة

يلجأ مستخدمو فيسبوك إلى استخدام أساليب المغالطة والتضليل خلال مناقشاتهم وحواراتهم على صفحات الموقع، بهدف التأثير والإقناع بغية حشد جمهور المتلقين ودفعه إلى تغيير اتجاهاته واتخاذ مواقف بعينها. وتتزايد وتيرة استخدام أساليب المغالطة خلال النقاش والحوار أثناء الأزمات. حيث تتصاعد حدة الحوار وتكون المغالبة هي الهدف لإعلاء المواقف وتثبيتها. وتتلخص مشكلة الدراسة في تسليط الضوء على أساليب المغالطة التي لجأ إليها مستخدمو فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس التي شغلت أوساط العامة والمثقفين والمهتمين بتاريخ الوطن. فقد شكل موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك أثناء الأزمة ساحة كبيرة لتبادل الآراء والمعلومات ونشر الأفكار وتقديم الحجج. وقد الحجج التي لجأ إليها الطرفان المعارض لإعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية والمؤيد لإعادته منطقية أحيانا، وتضمنت مغالطات أحيانا أخرى. وباعتبار الباحثة من أبناء بورسعيد المهتمين بتاريخها وتراثها، وكذلك نظرا لمتابعتها الحملات المتتالية لإعادة تمثال دليسيبس،

وملاحظة مسار الأزمة لعدة عقود قبل وجود فيسبوك وبعده، فقد لاحظت ما أثير حوله من آراء متعارضة حاول أصحابها استعمال حجج وبراهين للتدليل على صحتها. وقد بنيت بعض تلك الحجج على مغالطات، أسهم الانتشار الواسع لفيسبوك في زيادة تداولها، فكان ذلك دافعا لدراسة خطاب الأزمة على فيسبوك ومراقبة أداء طرفيه المعارض والمؤيد، وتوثيق معلومات تاريخية وراء الخلاف بشأن الأزمة. ومن ثم حاولت الباحثة الوقوف على أبرز تلك المغالطات التي تضمنها الخطاب والتعريف بها لخطورة تأثيرها.

أهمية الدراسة

تأتي الدراسة في إطار الاهتمام بدراسة الخطاب الإعلامي على وسائل التواصل الاجتماعي، لما له من تأثير كبير على اتجاهات المجتمع نحو قضاياه ومشكلاته. وترجع أهمية الدراسة إلى أنها ترصد أساليب المغالطة المستخدمة في خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس من خلال المنشورات على صفحاتهم الشخصية، باعتبار تلك المنشورات منتجا إعلاميا، وكأنموذج للأزمات التي تواجه المجتمع. وذلك للوقوف على ما تضمنته من أفكار ومعلومات غير صحيحة يتم تداولها حول الأزمة وتوظيفها بهدف التأثير وتغيير الاتجاهات وتوجيه الرأي العام. وبشكل خاص فإن أهمية الدراسة تكمن في ارتباط مشكلتها بموضوع يخص الذاكرة الوطنية، وما بذلته مصر والمصريون من تضحيات لإتمام مشروع، و وما يثار حول شخصية دليسيبس وخطورة دوره في تاريخ مصر الحديث ورمزيته في المخيال الشعبي.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة بشكل رئيس إلى رصد وتوصيف المغالطات والمخالفات التي تضمنها خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس ويتضمن الهدف الرئيس أهداف أخرى فرعية:

-التعرف على أبرز المغالطات المنطقية في خطاب الأزمة.

-الكشف عن اختلاف المغالطات في الخطاب المعارض والمؤيد.

تساؤلات الدراسة

تسعى الدراسة للإجابة عن تساؤل رئيس: كيف جاءت سياقات المغالطة والتضليل في خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس؟ ومن خلال هذا التساؤل تأتي التساؤلات الفرعية:

-ماهي أبرز المغالطات المنطقية التي لجأ إليها مستخدمو فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس؟

- هل اختلفت سياقات المغالطة في الخطاب المعارض والخطاب المؤيد أثناء أزمة تمثال دليسيبس؟

نوع ومنهج الدراسة

تنتمي الدراسة إلى الدراسات الوصفية التحليلية التي تهدف إلى توصيف الظاهرة لفهم خصائصها والكشف عن طبيعتها. وتعتمد على منهج المسح الإعلامي الوصفي التحليلي بهدف الوصول إلى توصيف دقيق لخطاب المغالطة خلال أزمة تمثال دليسيبس. كما استعانت بالمنهج المقارن لرصد أوجه التشابه والاختلاف بين المغالطة في خطاب المعارضين والمؤيدين. واعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة وقد تحددت للدراسة أزمة تمثال دليسيبس.

مجتمع وعينة الدراسة

تمثل الصفحات الخاصة لمستخدمي فيسبوك التي تناولت أزمة تمثال دليسيبس مجتمع هذه الدراسة. وتم اختيار عينة من تلك الصفحات وفقا لمجموعة محددة من المعايير أهمها: أن يكون محتوى الصفحة متاحا للعامة، وأن تحمل آراء واضحة حول الأزمة وتتبنى وجهة نظر محددة وتمثل الاتجاهين المعارض والمؤيد.

الإطار الزمني للدراسة

تحدد الإطار الزمني للدراسة فترتين من يونيو : ديسمبر ٢٠١٩، ومن يونيو : أكتوبر ٢٠٢٠.

قوانين الخطاب

الإنسان كائن اجتماعي مفكر، يميل إلى التفاعل مع الآخرين، ويرغب في التعبير عن رأيه ويجاهد لإثبات صحته، فيعرض الحجج والتفسيرات خلال النقاشات والحوارات في محاولة لحسم الخلاف، وهو ما يعرف في الدراسات اللغوية بالحجاج، الذي يجب أن يحدث وفقا لقواعد أو شروط خطابية. وقد حدد "بول جرايس Paul Grice" مجموعة من القواعد التداولية- يجب الالتزام بها خلال عملية الحجاج لتحقيق جودة التواصل- أسماها مبدأ التعاون، والذي تم تقسيمه إلى أربعة قواعد أولها قاعدة الكم Quantity: وتُعنى بكم المعلومات التي يتداولها المحاور أثناء الجدل والحوار فلا تقِل عن المطلوب ولا تزيد. والقاعدة الثانية تعرف بقاعدة الكيف Quality : وتختص بصدقية المعلومات التي يتم تبادلها فلا يجب أن تتضمن كذبا ولا يجب أن تفتقر إلى الحجة. والقاعدة الثالثة قاعدة المناسبة Relevance: ويقصد بها ضبط العلاقة بين الكلام

ومناسبته أو بمعنى آخر ملائمة الكلام للموضوع. أما القاعدة الرابعة فهي قاعدة الطريقة Manner: ويقصد بها الوضوح والشفافية بمعنى تجنب الغموض والتزام الترتيب.(٧)

وقد أعاد "ديكرو Ducrot" صياغة تلك القواعد تحت مسمى قوانين الخطاب.(٨) وهي مجموعة من القوانين تضبط عملية تبادل الحوار أو الحجاج بين المرسل والمتلقي وتنظم الأدوار الكلامية أثناء عملية الاتصال. غير أنه كثيرا ما يتم خرق تلك القواعد والقوانين، فيتحول الحوار والحجاج عن مساره الصحيح إلى مسار المغالطة.

ويعد الحوار الوسيلة الأمثل في المجتمعات الديمقراطية الحديثة للوصول إلى تفاهمات مجتمعية بشأن القضايا والأزمات التي تمر بها. والحوار القويم يسهم في دعم العلاقات والروابط بين فئات المجتمع، فيكون سببا من أسباب تماسك المجتمع وائتلافه. ولكن المشكلة تتمثل في أن كل طرف من أطراف النقاش يعتقد بصحة ما لديه من الحجج التي يحاول بها التأثير على غيره، أو صنع جبهة قوية حال الأزمات. وقد تبدو كل الحجج والتفاسير مقبولة للوهلة الأولى، ولكن الكثير منها يتم إقصائه إذا تم إخضاعه للتفكير المنطقي الذي يراعي قواعد التفكير وطرق الاستدلال الصحيح فيحول دون الزلل والانحراف في أثناء عملية التفكير ويؤدي إلى الوصول إلى نتائج سليمة.

فالمنطق إذن حجر عثرة وسد يمنع انحراف التفكير ويُلزم العقل بإيجاد تفاسير وحجج تدعم وتؤيد الأفكار وتدلل على سلامتها، خلال حركة الاستدلال. إن واقع الخطاب حول أزمة تمثال دليسيبس يُنبئ عن الكثير من المعلومات التاريخية، يقوم طرفا خطاب الأزمة المؤيد لإعادة التمثال والمعارض لذلك بتحليلها كلٌ حسب مراده، للاستدلال من خلالها على معلومة أو استنتاج جديد لا يمكن تأكيده أو نفيه إلا إذا جاء موثقا. ومع ذلك فهو يحمل موقفا من شخص صاحب التمثال، يستلزم هذا الموقف تأييد إعادة التمثال إلى قاعدته عند مدخل القناة أو رفض إعادته. ولكن واقع الخطاب أيضا يشير إلى وجود كثير من الأخطاء والمغالطات، منها على سبيل المثال لا الحصر، غياب أو تغييب أجزاء من الحقائق والمعلومات عمدا، أو جهلا وغفلة. ويشير كذلك إلى كثير من العاطفة التي تشوه صحة الاستدلال. إن الأجواء المشحونة التي تحيط بمناقشة القضايا والأزمات تجعل خطاب الأزمة غنيا بالمغالطات، فقيرا إلى الحجج الصحيحة، معوزا إلى أدوات وآليات منطقية تواجه تلك المغالطات. وتلك الأدوات لا تُنتج أدلة أو حقائق جديدة ولا توجدها من عدم ولكن تُمكن منتج الخطاب أو طرفي الحوار من التثبت من اتساق تلك الحقائق وتماسكها، فتدعم بناء حوار مجتمعي إيجابي فاعل ومؤثر.

المنطق الصوري والمنطق غير الصوري

المنطق الصوري "Formal Logic"هو علم قديم يعود تأسيسه إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو، وهو علم يهتم بدراسة القواعد العامة للتفكير الصحيح من استدلال وقياس وغيرها، لذلك كان المقياس الذي يعصم الفكر من الخطأ والتناقض، إلا أن مشكلته أنه يهتم بشكل الاستدلال وصورته وتركيبه أكثر من مضمون المقدمات والحجج. ولهذا فقد اجتهد الفلاسفة والمفكرين في العصر الحديث لتجديد المنطق الصوري وتعديله ليكون أقرب وأكثر انسجاما مع الواقع، وأكثر فاعلية في تحليل وتقييم المحاجات والاستدلالات في حياة الناس اليومية، فكان ذلك علم المنطق غير الصوري "Informal Logic".

تعريف المنطق غير الصوري

"المنطق غير الصوري هو استخدام المنطق في التعرف على الحجج وتحليلها وتقييمها، كما ترد في سياقات الحديث العادي ومداولات الحياة اليومية " (٩)

ارتبطت نشأة المنطق غير الصوري بحركات سياسية واجتماعية نشأت في أوروبا في ستينات القرن العشرين، غير أن الضوء لم يسلط على المنطق غير الصوري ولم يأخذ شكله البحثي إلا بعد إصدار رالف جونسون وأنتوني بلير صحيفة "المنطق غير الصوري" في نهاية السبعينيات. وارتبط المنطق غير الصوري "Informal Logic" بحركات ما يسمى بالتفكير النقدي " Critical Thinking" ونظرية المحاجة "Argumentation Theory" والمغالطات المنطقية "Logical Fallacies". وجاء كضرورة فكرية لتوفير سبل تصب في تقوية التفكير النقدي وترشيده في الحوارات العامة، وتفعيل أدوات يمكن أن تُدرج في مناهج التربية والتعليم لتقوية ملكة النقد في مختلف النقاشات والمناظرات سواء الشخصية أو الفضائية، بتنوعاتها السياسية والثقافية والقضائية وغيرها. وارتباطا بالمنطق تبرز عدة مصطلحات مثل مصطلح الدليل أو الحجة "Proof"، ومصطلح التفسير المنطقي "Logical Explanation"، ومصطلح وجهة النظر أو الرأي "Point of View". ووجهة النظر هي آراء الناس ونظرتهم لمختلف الظواهر، ويدخل في ذلك التصورات التي يبنونها والأحكام التي يطلقونها. فيكون من ذلك ما هو منطقي وما هو غير منطقي، ما هو مدعوم بحجج وما هو ضعيف وهش، ما هو موافق للواقع وما هو من بنات خيالهم. وعلى ذلك فالتفسير المنطقي هو جزء من وجهات النظر يقدم تحليلا وتفسيرا لا يخالف المنطق ولا الواقع. والخلاصة أن التفسيرات المنطقية تتميز عن سائر وجهات النظر بأنها موافقة

للمنطق وممكنة الوجود في الواقع. في حين تتميز الأدلة عن سائر التفاسير المنطقية بأنها يقينية ونهائية.(١٠)

ويرجع الفضل إلى فلاسفة الغرب في رسم حدود المغالطات وتسميتها، ويَسَّر ذلك على دارسي المغالطات الإلمام بها وتصنيفها والانتباه لوجودها والتنبيه على خطورتها في عملية التواصل، وتجنب الوقوع تحت تأثيرها. وربما كان سبب تنبه الفلسفة الغربية لذلك سابقا عن الفلسفة العربية لارتباطها بالفلسفة اليونانية، التي شغل السفسطائيون فيها مكانا كبيرا. بينما كانت الفلسفة العربية التي تأثرت بتعاليم الإسلام لا تهتم بهذا الجانب من الجدل باعتباره أمرا غير مستحب.

ويعد الفكر السفسطائي مكونا هاما من مكونات الفلسفة اليونانية، حيث برع السفسطائيون في مسألة الجدل وإدارة الحوار وتعزيز الرأي والرأي المخالف في نفس الوقت، باستخدام الحيل اللغوية الخطابية و الألاعيب القولية والمغالطات المنطقية، فكانوا يملكون ناصية الكلم والفكر ويُسخّرون ذلك في عملية الإقناع، فيحظوا بإعجاب الجمهور ودهشته. ويظل "مدلول السفسطة منذ اليونان وإلى اليوم، هو نفسه التعريف الأرسطي لها بكونها استدلالا صحيحا في الظاهر معتلا في الحقيقة، أي أنها نوع من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلم وتكون منطوية على فساد في المضمون أو الصورة إما بقصد أو دون قصد" (١١)

وكما أن أساليب المغالطة قديمة منذ تبناها الفكر السفسطائي في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، فإن دراسة ومقاومة الفكر المغالطي أيضا قديمة، فقد عُني أرسطو وأفلاطون بالحفاظ على فنون الخطاب والحوار في أثينا من تغول الخطاب السفسطائي.

وفي إطار الحديث عن الفكر المغالطي فإنه يحسن التفرقة بين الغلط والمغالطة. "الغلط مسار عشوائي للتفكير نتيجة الغفلة أو الجهل أو السهو، في حين أن المغالطة هي التفكير باستعمال المكر والغدر والاحتيال مع دراية بالقوانين المنطقية والتفنن في استعمالها من أجل الكذب وإيقاع الآخر في الزيف، وقلب الحقيقة إلى وهم"(١٢) ويشير أيضا مصطلح الاتصالات المتلاعبة Manipulative Communication إلى الخطاب الذي يتضمن مغالطات قصدية أو أغلاط غير مقصودة، ولكن كلها تؤدي إلى معنى يخالف الحقيقة.

تعريف المغالطة Fallacy

التعريف اللغوي

" غَلَطَ: أخطأ وجه الصواب، وأغلطه: أوقعه في الغلط غالطه مغالطة، والأغلوطة ما يغالط به من الكلام المبهم".(١٣)

التعريف الاصطلاحي

في الفكر اليوناني "sophisme" السفسطة استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة.

المغالطة في الاصطلاح الإنجليزي "Fallacy" ويعني الحيلة والخدعة.(١٤)

"المغالطة هي تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة" (١٥)

"المغالطة مركبة من مقدمات شبيهة بالحق ولا يكون حقا" (١٦)

"تعرف المغالطة بأنها استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو وكأنه صحيح، لأنه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا على الرغم مما به من غلط مقصود".(١٧)

التعريف الإجرائي

"المغالطة حجة زائفة ولكنها تبدو قويمة، أو خطأ في الاستدلال على صحة رأي ما، ويأتي ذلك بشكل متعمد أو عن جهل، بهدف الانتصار لهذا الرأي وإقناع الآخرين به".

أهمية دراسة سياقات المغالطة في خطاب فيسبوك

تعد دراسة المغالطة تعميقا لدراسة الخطاب الإعلامي، الذي حاز اهتمام الباحثين، خاصة ما يتعلق بدراسة الخطاب الإعلامي على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك. وتمثل المغالطة انحرافا عن القواعد السليمة التي تحكم النقاش أو الحوار التداولي. ويستطيع أي منتج خطاب أن يُظهر تفوقا في الحوار والمناقشة على فيسبوك إذا كانت لديه قدرة خطابية وامتلك مقدرة على الإقناع ولو باستخدام الخدع الخطابية والاستمالات العاطفية، دون الاحتكام الى العقل والدليل الصحيح. فليس سهلا على عامة الجمهور المتلقي أن يكتشف حيل الخطاب ومغالطاته، فكثير من المغالطات الشائعة تأتي مختفية وراء دلالات الألفاظ والمعاني المرتبطة بالبيئة والمجتمع أو بالمجموعات البشرية، حيث عادات الناس ومعتقداتهم وواقعهم، كذلك تخفي وراءها ذاتية مرتكبها وأيديولوجيته.

وبالتالي فإن مثل هذا الخطاب يمكنه أن يصنع حالة من الزيف حول أي قضية، ويمثل ذلك خطرا كبيرا على وعي المجتمع، وإلمامه الصحيح بقضاياه. فالمتلقي يتعرض لسيل من المغالطات خلال كافة تعاملاته اليومية، في النقاشات الشخصية، وفي متابعاته للحوارات السياسية من خلال وسائل الإعلام التقليدية والميديا الجديدة. لذلك كان من الواجب التعريف بالمغالطات خاصة التي ترد ضمن خطاب فيسبوك- مجتمع هذه الدراسة – ومحاولة كشفها وتشريحها بهدف التحذير منها وتجنبها، بل وتنبيه جمهور المتلقين وإرشادهم للارتقاء بالمناقشات اليومية. بشكل عام ينبغي على من يدخل محاورة أن ينتبه إلى حيل الخداع؛ ذلك أن من المحتم عليه أن يواجهها ويتعامل معها.

وتعد الأزمات على اختلافها بيئة خصبة للحوار وعرض الآراء على فيسبوك. فيحتدم النقاش من خلال مجال عام مفتوح غير مقيد بضوابط، لذا كان لابد من الإلمام بالمغالطات التي من شأنها أن تُحدث فوضى أثناء الحوار أو تجعل الطريق مسدودا أمام التوصل لأي تسوية أو حل للأزمة.

ونظرا لأهمية وسائل التواصل الاجتماعي تأتي أهمية دراسة المغالطات التي تعج بها حواراتنا اليومية أثناء الأزمات خاصة على فيسبوك. بغرض المساهمة في تثقيف الخطاب العام، الافتراضي والواقعي، وتحقيق تواصل حواري ثقافي اجتماعي وسياسي رزين. تواصل منضبط يضمن الوصول لما هو متفق عليه ومختلف فيه بين طرفي الأزمة، دون اللجوء إلى التضليل أو الارتكان إلى قلة معلومات المتلقي وعدم خبرته من ناحية أو استغلال عواطفه ومشاعره من ناحية أخرى، في محاولة إقناعه بوجهة نظر معينة وتأييدها.

وترتبط أساليب المغالطة بشكل وثيق بفنون الخطاب، خاصة ما يتعلق بعمليات الإقناع وحشد الرأي في وقت ارتفعت فيه وتيرة الصراعات السياسية والاجتماعية والثقافية، وأثبتت فيه وسائل التواصل الاجتماعي قدرة كبيرة على إشغال وإشعال الرأي العام والهيمنة عليه، بفعل ميزاتها الكثيرة التي تجذب بها جمهور المستخدمين. وليس أدعى من هذا لدراسة الخطاب المستخدم في ذلك، وما يشمله من مغالطات تكشف عن المقاصد من ورائها، ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها. لقد كان ضروريا أن تتضمن دراسة خطاب الأزمة الكشف عن أساليب الخداع المستخدمة في عملية التفكير والاستدلال أو البرهنة.

المغالطة في خطاب أزمة تمثال دليسيبس

تَضَمَّن خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس كثيرا من المغالطات، لذا حاولت الباحثة رصد وتوصيف أبرز تلك المغالطات في الخطاب سواء كانت متعمدة أو غير متعمدة. وكشف أساليب الخداع التي استُخدِمت في عملية الاستدلال على صحة الرأي بين طرفي الأزمة المؤيد لإعادة التمثال والمعارض، للإجابة عن تساؤل حول قدرة منتج الخطاب على التعبير عن فكره ورأيه دون الوقوع في مغالطات؟ وماذا عن طبيعة تلك المغالطات؟ ومع الأخذ في الاعتبار أن عينة الدراسة لمستخدمين من غير المتخصصين إلا أنه من الضروري الوقوف على تلك المغالطات ودراستها. إن تقديم الحجج والأدلة التي تبرر وتدعم تَبَني منتج الخطاب لرأي معين ضروري لإقناع الآخرين، خاصة إذا كان هدف منتج الخطاب تشكيل رأي عام مؤيد لرأيه. وبغير تلك الحجج والتفاسير تكون تلك الآراء والأفكار مجرد رغبات شخصية وميل نفسي، ليس لها القدرة على الانتشار والتأثير بين الجمهور. لذا جرت عملية تفكيك للحجج الواردة خلال خطاب مستخدمي

فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس للوقوف على مدى انسجامها مع العقل والواقع. فواقع خطاب الأزمة يُنْبئ عن الكثير من المعلومات التاريخية، يقوم طرفا خطاب الأزمة بتحليلها كلُ حسب مراده، للاستدلال على أمر ما لا يمكن تأكيده أو نفيه. وضمن مغالطات الخطاب غياب أو تغييب أجزاء من الحقائق والمعلومات عمدا أو جهلا وغفلة. إضافة إلى كثير من العاطفة التي تشوه صحة الاستدلال والبرهنة. فالأجواء المشحونة التي تحيط بمناقشة الأزمات تجعل خطاب الأزمة غنيا بالمغالطات، فقيرا إلى الحجج الصحيحة، معوزا إلى أدوات وآليات تواجه تلك المغالطات. إن رصد المغالطة وتحليلها والتعريف بخطئها الاستدلالي، ثم ادراجها تحت تعريفها المحدد أو تسميتها، يساعد في استبعادها من النقاش، وعدم السماح لمرتكبها من طرحها من جديد أو إعادتها للنقاش، ولكن إجباره على اتخاذ السبل الصحيحة للحوار. ولعل ما حاولت الباحثة عمله جاء موافقا لقول "آرثر شوبنهاور" "كم سيكون رائعا لو أمكننا أن نُقيّض لكل خدعة جدلية اسما مختصرا وبيّنا، بما يسمح لنا كلما ارتكب أحدهم هذه الخدعة أو تلك أن نوبخه عليها في التو واللحظة". وهذا القسم من الدراسة ليس لرصد نسبة المغالطات ولكن تصنيفها وتوضيحها بالأمثلة.

- مغالطة القسمة الثنائية الزائفة

"مجادلة مأزق الثنائية تظهر لنا القضية على شكل خيارين لا ثالث لهما" (١٨)

"الثنائيات الزائفة تبسيط كبير فهي تقطع كل تعقيد للموضوع وتقدم مجرد خيارين خذهما معا أو اتركهما معا كخدعة خطابية."(١٩)

ظهر واضحا تمسك وتعصب طرفي الأزمة– المعارضون لإعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية، والمؤيدون– بموقفهما إلى آخر مدى. وإذا كان التمسك بالرأي والتعصب سمة تميز خطاب الأزمات بشكل عام، فقد أدى ذلك إلى وجود كثير من المغالطات المنطقية في الخطاب. وتعد مغالطة القسمة الثنائية الزائفة هي المغالطة الرئيس في خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس. ويمكننا أن نعبر عنها بالصراع الصفري بين مؤيدي إعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية وبين المعارضين، حيث لا بديل من وجهة نظر المتحاورين كنتيجة للحوار سوى نتيجة واحدة، هي تحقيق هدف بلا مقابل. فكلاهما يريد أن ينتصر لرأيه مقابل هزيمة الآخر وتلك مغالطة غير مقبولة ولا مرغوبة أثناء الخطاب الإقناعي. فعندما يبني المحاور خطابه مستندا إلى الثنائية فإنه بذلك يقطع كل سبل الحوار منذ البداية. وقد مارس تلك المغالطة طرفا الخطاب معا، فالمؤيد تبنى خطابا يصر فيه على العودة لما قبل ٢٣ ديسمبر١٩٥٦م، اليوم الذي أسقط فيه أهالي بورسعيد التمثال بعد رحيل جنود العدوان عن أرض بورسعيد. ويدعو لإعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية باعتبار أن

وجوده جزء من تاريخ بورسعيد، وأن إسقاطه جاء عارضا نتيجة لتصرف سيء من الجنود المنسحبين حيث رفعوا العلمين الفرنسي والبريطاني أعلى التمثال ودهنوا جسم التمثال بمادة شحمية جعلت من المستحيل إنزال العلمين، مما استفز وأثار مواطني بورسعيد فحطموا التمثال. أما المعارض فيرفض إعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية والقفز على فعل ثوري قام به فدائيو بورسعيد بالتعاون مع ضباط مصريين من جهة رسمية، بدافع الغيرة الوطنية وردا على صلف جنود العدوان والتأكيد على إشارة لا تخطئها عين باختيار الجنود المنسحبين لهذا التمثال تحديدا لرفع الأعلام عليه بدلا من أي مكان آخر باعتبار التمثال على مدخل القناة يمثل سيطرة أوروبية عليها. ويعتبر المعارضون إسقاط التمثال في هذا الظرف جزءً من تاريخ بورسعيد أيضا. كلاهما تمسك برأيه وموقفه تجاه الأزمة مقابل الرأي والموقف الآخر، متجاهلا رأي أو خيار ثالث مختلف وممكن، يحقق مكتسبا معقولا وتنازلا مقبولا لكل طرف من طرفي الأزمة. خيار بتسوية للخروج من الأزمة خارج تلك الثنائية الزائفة، وهو وضع التمثال في متحف داخل بورسعيد باعتباره يخصها، مع تنويه عن شخصية صاحبه وظروف تنصيب التمثال وظروف إسقاطه ثم إعادة ترميمه. ونتحدث من خلال الثنائية عن التيار الغالب للمعارضين والمؤيدين إلا أصوات قليلة جدا طرحت ذلك الخيار ولكنها مع ذلك لم تجد الصدى المطلوب. وقد أدى السقوط في تلك المغالطة إلى حالة كبيرة من الاستقطاب، واتجاه لتعنيف الرأي الآخر والسخرية منه.

بشكل عام حكمت مغالطة القسمة الثنائية الزائفة خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال ديليسبس، وقد أججت الثنائية الزائفة في خطاب الأزمة الهجوم والصراع بين طرفي الأزمة، فأنت إن لم تكن معي أصبحت ضدي مباشرة، وعلى هذا فالمؤيدون في نظر المعارضين هم أصحاب أجندة مرتبطة بجمعيات فرنسية مشبوهة، ومسئولين عن فقدان الهوية الوطنية والمعارضون في نظر المؤيدين هم رجعيون غير مسايرين لحركة التاريخ، مسئولين عن ضياع المنح التي وعدت بها جهات فرنسية حال إعادة التمثال.

- مغالطة الاحتكام إلى عامة الناس

تُعرف هذه المغالطة أيضا بمغالطة سفسطة الأكثرية، أو سفسطة ما يراه الناس. فيلجأ المغالط إلى رأي الأكثرية بدلا عن الحجة، فحجة المحاور أن ما يراه أكثر الناس لابد أن يكون صحيحا. وقد يكون رأي الأكثرية صحيحا وقد لا يكون. (٢٠)

وهذه من أكثر المغالطات شيوعا في الخطاب الحواري، ويسقط فيها المثقفون والعامة على السواء. فالمثقفون أو قادة الرأي على مستوياتهم المختلفة يلجأون إليها لتعضيد ما يتبنونه من آراء،

بالتأكيد على أن غيرهم يتبناه أيضا. وقد يلجأ قادة الرأي إلى إثارة وتحريك مُخَاطَبيهم، ثم الارتكان إلى تلك المجموعات التي تم تحريكها للتدليل على مستوى الرضا عن ذلك الرأي. أما مرتكبها من العامة فيركن إلى قلة إعمال العقل وعدم الدراية وينيب عنه من يقدم رأيا أو يتخذ موقفا فينضم إليه. بمعنى أنه سيتبع الرأي الذي سيكون له السواد بين الناس. فالمغالطة مبنية في الأساس على صدق الحجة ما دامت الأغلبية تؤيدها. إن الاحتكام إلى رأي الأغلبية حول مسألة ما ليس خطئا في ذاته، إذا كان يحتكم للعقل في الأساس، فالكثرة وحدها لا تدل على سلامة الرأي دائما، ورُب رأي منفرد وحيد يكون صحيحا عن رأي ترفعه أغلبية.

وقد يتم في هذه المغالطة الاحتماء ببعض الإحصاءات، كما نجد في بعض التوظيف السيئ لاستطلاعات الرأي لتأييد بعض وجهات النظر وتعزيز مصداقيتها...فكثير من هذه الاستطلاعات لا قيمة لها من الناحية الحجاجية ، لأن كثرة معتقدي أمر من الأمور لا تغير حقيقته.

قدم مستخدمو فيسبوك خلال خطابهم أثناء أزمة تمثال ديليسبس أنموذجا لمغالطة الاحتكام إلى عامة الناس، فقاموا بعمل استطلاع رأي حول إعادة التمثال إلى القاعدة التاريخية، عن طريق التعليق بالموافقة أو الرفض. واستطلاع الرأي طريقة معروفة لاستقصاء رأي عام بأسلوب علمي من خلال سلسلة من الإجراءات فهو أحد أهم الجوانب التطبيقية لعلم الإحصاء. واللجوء إلى الأرقام يقدم تفسيرات خلال عملية تداول المعلومات والآراء ويقصر الطريق إلى عملية الإقناع. ولكن عملية قياس الرأي عن طريق الاستطلاع عبر صفحات فيسبوك عملية تعوزها الدقة، ولا يمكن أن تخلص إلى نتائج محايدة. فالأصدقاء على الصفحات الشخصية فيسبوك غالبا من دائرة معارف منتج الخطاب، تربطه بهم علاقات اجتماعية كالقرابة أو الصداقة الحقيقية وليست الافتراضية فقط وهو ما قد ينتج عنه بعض المجاملات سواء بإظهار التأييد أو بالإحجام عن إبداء المعارضة. كما أن متابعي الصفحات الشخصية يميل أغلبهم للآراء والأفكار المطروحة على الصفحة، لذلك ففي غالب الأحيان تأتي تلك الاستطلاعات موافقة للرأي الذي تتبناه الصفحة. إن إجراء استطلاع للرأي حول موضوع واحد على صفحتين مختلفتي التوجه، غالبا سيأتي بنتيجة مختلفة، موافِقة لاتجاه الصفحة. كما أن استطلاعات الرأي التي تتم على صفحات فيسبوك عن طريق كتابة تعليق تتميز بالعلانية، فالتعليق بالتأييد أو الرفض يظهر للقراء الآخرين، وهذا مما يجعل البعض يحجم عن الاشتراك في الاستطلاع، تجنبا لإبداء رأي قد يعرضه لسخط أو استنكار أحدهم. في أحد منشورات الأزمة قام منتج الخطاب المؤيد بإجراء استطلاع للرأي حول الموقف من إعادة التمثال، وطلب كتابة تعليق يؤيد أو يعارض إعادة تمثال دليسيبس إلى القاعدة التاريخية. وجاءت غالبية

الآراء متفقة مع رأي وتوجه صاحب الصفحة أو منتج الخطاب، فيما جاءت الآراء المعارضة لتوجه صاحب الصفحة بنسبة ٤% فقط. وبالنظر إلى تلك النتيجة يلاحظ أنه رغم أن الصفحة تحظى بآلاف المتابعين، إلا أن عدد قليل منهم قام بإبداء الرأي. وقد يرجع ذلك لما سبق مما رجحته الباحثة. فالعلانية تجعل الكثير يحجم عن إبداء الرأي بشكل مباشر. ويؤكد هذا ميل الأفراد للمشاركة مع أشباههم والمنسجمين معهم في الآراء، والوجود وسط مجموعات متآلفة. بينما القليل يستطيع مشاركة الرأي مع الآخرين ممن يختلف معهم. وفي منشورات آخر ساق منتج الخطاب أمثلة في محاولة لإثبات أن رأي العامة "الشعب" يكون هو الأصح في حالات كثيرة مقارنة برأي النخب. فكان المثل الأول "التشويه المتعمد من قِبل النخب لفترة حكم الملك فاروق، فتم نزع صوره أو التشويش عليها في الأفلام القديمة، ثم عندما عُرض مسلسل تلفزيوني عن الملك فاروق لاقى نجاحا، لدرجة اعتبرها البعض رغبة في العودة للحكم الملكي". فالمغالطة واضحة في الاحتكام إلى نجاح مسلسل، على أنه رأي الشعب، وهو ما يحاول منتج الخطاب الاستدلال به لإثبات صحة رأيه وموقفه من إعادة التمثال.

بشكل عام يلجأ البعض إلى مغالطة الاحتكام إلى عامة الناس، حيث لا يكلفه ذلك عناء الاحتكام إلى العقل، كما أن الاحتكام إلى عامة الناس يمنح بعض الطمأنينة، حيث لا صدام ولا رأي يمكن أن يكون له ثمن، بل مظلة يلوذ إليها ويأمن تحتها. ولذلك عمد منتجو خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس إلى حشد الجمهور إما بإثارة مشاعر التمسك بالثوابت الوطنية وإثارة المخاوف بشأن تدخل أجنبي في شأن مصري من جهة المعارضين. أو بتحريك العاطفة وإثارة النوستالجيا، والإيلام بالتأنيب والاتهام بالتفريط من جهة المؤيدين. ومن ثم بعد الحشد لجأوا إلى الاحتكام إلى هذا الجمهور الذي تم حشده للتمكين لأوضاعهم ومواقفهم رغم عدم وجود أي دليل يؤكد أن تأييد العامة لرأي معين أو تبنيهم لقضية بعينها يعني صحة الرأي أو عدالة القضية، إنما يحدد ذلك الاحتكام إلى العقل، وما يلزم ذلك من معلومات صحيحة أو أدلة قاطعة وحجة سليمة. ودون ذلك فإن تحيز غالبية الناس لرأي ما مرجعه في أغلب الأحيان الارتكان إلى الراحة والرغبة في الاطمئنان ضمن مجموعات، خوفا من تحمل تبعات الاختيار ومسؤولياته، حتى لو انتقص ذلك من الحرية وقيَّد الإرادة.

- **مغالطة تجريح الشخص**

تبدو هذه المغالطة متداولة بشكل كبير خلال الحوارات والنقاشات. وتتمثل المغالطة في دحض أحد المتحاورين لرأي الآخر ليس لخطأ الرأي في ذاته، ولكن لأنه يأتي من هذا الشخص،

وذلك لاتصافه بصفات معيبة أخلاقيا أو متطرفة فكريا، أو لارتكابه أخطاء في الماضي يُعير بها، أو لأنه يتبنى الرأي مضطرا لسبب ما كأن يكون عضوا في حزب أو جماعة وملتزم برأيها. وبالتالي يتم رفض الرأي ليس لعلة فيه ولكن لعلة في صاحبه. أما آلية تنفيذ المغالطة فتكون بالضغط والهجوم على صاحب الرأي والتصريح أو التلميح بعيوبه أو بالسبب الذي جعله يتبنى هذا الرأي، فيعترض على الرأي لأنه أتى من هذا الشخص. وتعد تلك الممارسة الحوارية مغالطة لأنها تربط بين صفات أو ظروف المحاور وبين رأيه أو حجته، في حين يجب دراسة ومناقشة الرأي والتعرف على وجاهته وسلامته بعيدا ما أمكن عن ظروف حامله، إلا في حالات قليلة يكون الرابط فاعلا ومؤثرا فتقع المغالطة. وتشكل تلك المغالطة خطرا ليس فقط على سلامة الخطاب ولكن أيضا على سلامة المجتمع، فقد تقود المتحاورين إلى تتبع الأخطاء والتدخل في الحياة الشخصية، بهدف التعريض بالأشخاص وبالتالي آرائهم.

بدت هذه المغالطة واضحة في خطاب أزمة تمثال دليسيبس حيث لجأ المؤيدون إلى الإشارة للمعارضين على أنهم فقط أصحاب الفكر الناصري وأنهم لا يستطيعون الخروج عن أفكار الحقبة الناصرية التي رفعت شعارات ومُنيت بهزائم. وأشاروا إلى ذلك تصريحا وتلميحا، وتم وصف المعارضين بعدة صفات مثل "الحنجراوية" أي أصحاب الصوت العالي والضجيج. ثم جرى تحديدهم "الناصريين الحنجراوية" "أتباع أبو الهزايم" ومن خلال هذا الخطاب حاول المؤيدون حصر المعارضين في هذه الفئة والهجوم عليها ومحاولة تشكيل رأي عام يتبنى إعادة التمثال من خلال مهاجمة تلك المجموعة، وجاءت المغالطة على هذا الشكل :

الناصريون هم من يعارضون إعادة التمثال.

الناصريون أصحاب أصوات عالية وشعارات جوفاء.

رأي الناصريين المعارض لإعادة التمثال خطأ ولا بد من إعادة التمثال.

كذلك لجأ المعارضون إلى ذات المغالطة فوضعوا المؤيدين جميعا في سلة واحدة، وألحوا بعلاقتهم بالمحافظ رأس السلطة التنفيذية بالمحافظة، وبشبكة العلاقات والمصالح التي جعلتهم يتبنون الرأي بإعادة التمثال. وتمت الإشارة إلى بعض تلك العلاقات وكان من أكثرها لفتا للانتباه هو أن أحد المؤيدين بشدة لإعادة التمثال هو نجل أحد الأخوين الفدائيين اللذين شاركا في إسقاط التمثال. وقد دعم حملة قوية لإعادة التمثال متجاوزا أن من قام بإسقاطه عمه ووالده، وأن هذه العملية كانت سببا في تكريمهما كأبطال. وموضع الإشكالية هنا أنه نائب رئيس المجلس الأعلى

للثقافة ببورسعيد والذي يترأسه المحافظ. وبالتالي جرى التلميح لتلك الصلات والروابط المعقدة التي تربط بعض المؤيدين لإعادة التمثال بدوائر متعددة كعلاقات بجمعيات ومؤسسات.

- **مغالطة الاحتكام إلى سلطة**

تتمثل المغالطة في استدعاء سلطة ما واعتماد المحاور للتدليل على صحة رأيه إلى هذه السلطة، معتمدا على تبني وتأييد صاحب السلطة للرأي وذلك عوضا عن تقديم أدلة تثري الحوار.(٢١)

وقد يكون صاحب هذه السلطة لا علاقة له بموضوع الحوار ولا يدخل في مجال تخصصه. وتعد تلك الممارسة الحوارية مغالطة لأن صحة الرأي والحجة المصاحبة له يجب أن يكون في سياق واحد متسق وليس خارجا عن إطاره، بمعنى أن يكون من داخل القضية المتنازع عليها. وبطبيعة الحال لا يمنع ذلك الرجوع أو اللجوء إلى سلطة مناسِبة للقضية وليس سلطة خارجة عنها تصبح تكأة لإثبات صحة الرأي. وتتمثل خطورة تلك المغالطة في التأثير على الجمهور دون وعي، فبمجرد ذكر اسم فلان على أنه الصحفي اللامع، أو الخبير في شئون كذا، أو الباحث في مجال...، أو الإعلامي القدير، تجعل الجمهور غير المدقق ينساق وراء الرأي ليس بوصفه رأيا ولكن على أنه رأي خبير أو صاحب سلطة معرفية وعليم بالقضية. ولجأ الطرفان المعارض والمؤيد إلى تلك المغالطة خلال الحوار حول أزمة تمثال دليسيبس كأن يتم تداول مقال لصحفي معروف أو رأي لإعلامي شهير معارض أو مؤيد لإعادة التمثال ويتم التعامل مع هذا الرأي وكأنه حجة للتدليل على صحة المعارضة أو التأييد. فعلى سبيل المثال تداول المؤيدون مقالات للدكتور أسامة الغزالي حرب وغيره، وتداول المعارضون مقالات للكاتبة سكينة فؤاد وغيرها. وتبدو المغالطة في أن ما يقوله الصحفي أو الإعلامي لا يتعدى كونه رأيا لا يعد حجة أو مرجعية على صحة الموقف من إعادة التمثال إلا إذا قام هو بعرض أدلته وحجته على صحة وسلامة رأيه، ومع ذلك يظل مجرد رأي له حجة وليس حجة في ذاته. وتأتي المغالطة على هذا الشكل:

فلان شخص مشهور

فلان مع أو ضد إعادة التمثال

إذاً الرأي بإعادة التمثال "صحيح أو خطأ" لأنه رأي فلان

ويدخل ضمن ذلك ما تداوله المؤيدون حول موافقة نجل أحد الأخوين اللذين شاركا في إسقاط التمثال على إعادته. فتم الترويج لإعادة التمثال استنادا إلى موافقة نجل أحد اللذين أسقطوه. رغم أن رأيه ليس حجة وإن كان يتسم بالجرأة نظرا لعلاقته بمنفذي الإسقاط. كذلك

اتخذ المؤيدون قرار اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية واليهودية اعتبار تمثال دليسيبس أثرا حجة لدعم إعادة التمثال رغم أنه قرار يخص تصنيف فقط. فاعتبار التمثال أثر لا علاقة له بالموقف من إعادته إلى القاعدة التاريخية فتلك قضية مختلفة لها ملابسات سياسية وثقافية واجتماعية أخرى.

- **مغالطة الاحتكام إلى القوة**

يقصد بها تدعيم الحجة بتهديد لا صلة له بها بدلا من الدليل.[٢٢] تبدو هذه المغالطة في حالة أن يلجأ المحاور إلى التعريض بالقوة لفرض الرأي. قوة التهديد أو التخويف من إلحاق الأذى بدلا عن الحجة والبرهان وسوْق الأدلة. بمعنى أن المحاور يمارس نوعا من الإرهاب أو الترهيب لإعلاء فكرته أو رأيه. وهنا يفتقد الخطاب والحوار أهم أحد عناصره التي ذكرها هابرماس عن المجال العام وهو الحرية التي تخالف الإرهاب الفكري في تلك المغالطة. إن الرأي السليم ينتج عن فكر سليم في بيئة تخلو من التسلط بفرض آراء وتجنيب أخرى، لكنها تتسع للرأي والرأي المخالف وعلى كلاهما أن يقدم حجته ويثبت سلامته، لا أن يحتكم للقوة بأي من معانيها، التهديد، الوعيد، الإيذاء، التخوين، التجريح، التجهيل، التوبيخ. أما اللجوء لما سبق فيعد مغالطة لأن القوة لا تصنع رأيا سليما ولن تغير قناعة ولن تسهم في بلورة رأي عام. اتهم المؤيدون لإعادة التمثال المعارضين بادعاء الوطنية وعدم الاكتراث بمعاناة شباب المدينة الذي يبحث عن عمل، وأن ذلك متعلق برواج سياحي يرتبط بإعادة التمثال، فحملوهم مسئولية ذلك، كما حملوهم مسئولية التفريط في مقدرات ومفردات المدينة. وأشاروا إلى أيديولوجية بعض المعارضين على أنها مرجعية معيبة. في المقابل ألمح المعارضون بتهم الانتفاع والتربح من وراء الدعوة لإعادة التمثال وأشاروا إلى علاقات بجهات فرنسية وشبكة من العلاقات وراء الدعوة لإعادة التمثال. بوجه عام إذا صدق وسم البعض من الفريقين بتلك الإشارات فإنه لا ينبغي تعميمها على الفريق بأكمله. ويعد ما سبق خطابا مغالطا، فإثارة انفعالات التخوين أو الاتهام بزيف الوطنية والتخويف من الاتهام بالتفريط، أو تهم عدم تقدير احتياج الآخرين للعمل، إثارة كل تلك المشاعر السلبية لا يمت بصلة لقضية الحوار وإبداء الرأي والحجة على سلامته سواء مؤيدا أو معارضا. وإنما يعد كل ذلك عصا أو إصبع اتهام يشير بها أحد طرفي الحوار إلى الآخر. إن كلا الفريقين يحتكم إلى قوة عصا التخويف والتهديد والترهيب من خطر قادم. فعلى سبيل المثال ليست هناك أي دراسة أعدت بمعرفة خبراء من رجال الاقتصاد أو السياحة تثبت رواجا سياحيا وعائدا اقتصاديا حال إعادة التمثال. ثم ما المقصود بأن التمثال من مقدرات المدينة؟ فالتمثال رفع سنة ١٨٩٩ وأسقط سنة ١٩٥٦ وظل في مخازن هيئة

قناة السويس طيلة هذه السنين منذ إسقاطه. ولم يكن عنصر جذب سياحي فترة وجوده على القاعدة ، ولم يرصد أي مؤشر لتراجع سياحي بعد إسقاطه. على الجانب الآخر لم يرصد أي واقعة فعلية للتربح من وراء الدعوة لإعادة التمثال وإن وطدت الدعوة لإعادة التمثال بعض العلاقات بجهات تنفيذية فإنها بشكل عام غير مؤثمة.

وقد لاحظت الباحثة من خلال رصد مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال ديليسبس أن مغالطة الاحتكام إلى القوة وآلية التهديدات الصريحة المباشرة والمستترة غير المباشرة بإمكانها أن تسكت أصواتا لها رأي وتثنيها عن التقدم للحوار والنقاش مخافة الوقوع تحت التهديد الفكري وتصنع حالة من العزوف عن المشاركة.

- **مغالطة الاحتكام إلى النتائج**

تقع المغالطة عندما يستخدم المحاور النتائج المترتبة على رأي ما كحجة على صحة هذا الرأي أو خطأه. فإذا كانت النتائج المتوقعة أو الملموسة إيجابية عد الرأي سليما صحيحا، وإذا كانت النتائج المتوقعة أو الملموسة سلبية كان الرأي خطأ، ولذلك فالبعض يسميها مغالطة المآل. ويعد الاعتماد على النتائج للتدليل على صحة الرأي مغالطة حوارية، ذلك أن الرأي قد يكون صحيح وتأتي النتائج سلبية لأسباب أخرى وعلى العكس قد يكون الرأي خطأ وتأتي النتائج إيجابية لأسباب مختلفة، فسلامة وصدق الآراء مستقل عن نتائجها وتخضع لقواعد ومحددات محايدة لا علاقة لها بالنتائج ولكن لها مبررات عقلية، فإن وافق صحيح الرأي إيجابية النتائج فإن ذلك لا يعد حجة أو دليل على صحته.

وتأتي بنية المغالطة كالتالي: (٢٣)

-مقدمة ١: لا يوجد حاليا أدلة تثبت صحة الدعوى س.

-مقدمة ٢: مستقبلا سيكون هناك أدلة تثبت صحة الدعوى س.

-نتيجة: إذن الدعوى س صحيحة.

وقد جاءت المغالطة في خطاب الأزمة على أكثر من هيئة :

إعادة التمثال رأي صحيح وغير ذلك سيؤدي إلى ضياع مقدرات ومفردات بورسعيد

إعادة التمثال رأي خطأ وغير ذلك سيؤدي إلى إهدار تضحيات الفدائيين و...

أو على هيئة:

إعادة التمثال رأي صحيح سيؤدي إلى رواج سياحي وعائد اقتصادي

إعادة التمثال رأي خطأ سيؤدي إلى ضياع الثوابت الوطنية

واعتمد منتجو خطاب أزمة تمثال دليسيبس بشكل كبير على مغالطة الاحتكام إلى النتائج فإعادة التمثال عند المعارضين ستؤدي لتشويه عقل ووجدان الشباب الذي لم يعاصر أحداث بورسعيد ٥٦. ويعد فقدانا لهوية مدينة ناضلت وحاربت ونجحت بتضحيات أبنائها أن تصمد في وجه ثلاث دول معتدية، ويهدر تضحيات أجيال من المصريين منذ بداية حفر القناة حيث ضحت مصر ١٢٠ ألف من فلاحيها أثناء الحفر، مرورا بكل الحروب التي كلفت الوطن آلاف الشهداء للحفاظ على القناة. ويمثل تدخلا في شأن مصري خاص حيث أن ذلك رغبة فرنسية منذ عدة عقود، فيفقد مصر سيادتها الوطنية. أما عند المؤيدين فإعادة التمثال سيظهر مصر في شكل حضاري متصالح مع التاريخ. ويوطد ويدعم العلاقات المصرية الفرنسية التي تشهد حالة من النمو حيث تعتمد مصر في جزء من واردات أسلحتها على فرنسا. كما أن إعادة التمثال ستضع بورسعيد على خريطة السياحة الفرنسية فتستقبل أفواجا من الفرنسيين، فتزدهر المدينة اقتصاديا من عائد السياحة.

كل ما سبق يعبر عن مغالطة الاحتكام إلى النتائج. فالحجة على صحة الرأي أو فساده لا ينبغي أن تكون بالقفز على الحجج الواضحة والأدلة المقبولة إلى النتائج المنتظرة من إعادة التمثال. إن الحقيقة لا بد أن تبدو واضحة لا تنبع من أهواء أو مخاوف، بل يجب أن تحكم تلك الأهواء وتقيد المخاوف. بمعنى آخر أن الرأي الصحيح ليس هو ما يساعدنا على إنفاذ رغباتنا ولكن يجب أن تنقاد وتنضوي تلك الرغبات تحت الرأي السليم وإن كان يتعارض معها. ولعل ما يؤيد ويؤكد ذلك أن تقدير تلك النتائج قد يكون غير صحيح، ولذلك لا يمكن أن ترتبط صحة وسلامة الرأي بالنتائج. ومع ذلك فهناك حالة وحيدة يمكن الرجوع فيها إلى النتائج في الحكم على صحة وسلامة الرأي، هي أن تتكافأ مع الحجج والأدلة وتأتي على درجة متساوية من الصدق والثبات. فهنا يجوز الاحتكام إلى النتائج للمفاضلة بين الآراء والتوجهات. أما في حالة الاختلاف الواضح وعدم التوازن بين الحجج مثل ما في أزمة تمثال دليسيبس فإنه يجب مقابلة الحجة بالحجة والدليل بالدليل.

- **مغالطة الألفاظ الملقمة**

إن أيٍ من الكلمات لابد أن تحمل معنى، والمعنى الحقيقي للكلمات هو الذي يعبر تماما عن علاقة الكلمات بالواقع الذي تمثله. غير أن للكلمات معان أخرى إيحائية أو ضمنية يمكن استحضارها في الذهن بمجرد ذِكر الكلمة. فتأتي تلك الكلمات مشحونة بدلالات عاطفية بعيدا

عن الحجة والبرهان الذي هو وسيلة الإقناع، وذلك ما يعرف بالوظيفة الإيعازية للغة. فيكون هدف المتكلم إحداث تأثيرات معينة في المتلقي.

والألفاظ ذات الصبغة الانفعالية من أكثر أساليب التي يعتمد عليها المغالط. حيث يثير لدى محاوره مشاعر الردع والتخويف والشك والاشمئزاز أو الود والطمأنة والاستبشار، ليستبق عملية التفكير وإقامة الدليل أو الحجة. والألفاظ التي تصطبغ بصبغة وجدانية تقف عقبة في طريق التفكير المنطقي وتستخدم في تضليل الآخرين. ومن الطبيعي أن يتم استخدام هذه الألفاظ للحصول على التأييد أو إبداء المعارضة.(٢٤)

وقد تداول مستخدمو فيسبوك أثناء الأزمة الكثير من الألفاظ المشحونة أو الملقمة بمعان ضمنية موحية وأحيانا عاطفية. فاستخدم المعارضون كلمة "أفاق" أو "محتال" بدلا من ماكر، وكلمة "داهية" بدلا من ذكي، في وصف دليسيبس وما قام به ليحصل على امتياز حفر قناة السويس من الوالي سعيد. وذلك إشارة إلى خطته ليحصل على موافقة الوالي على المشروع بشروط غاية في الإجحاف بالنسبة لمصر، والطريقة التي ورطه بها لشراء الأسهم التي فشل في بيعها في أوروبا. كما استخدموا كلمة "مقاول" بدلا عن مدير المشروع للتقليل وتحجيم دور دليسيبس في إدارة مشروع حفر القناة وخروجه إلى الوجود. وعند استعمال لفظ أفاق أو محتال عوضا عن ماكر أو لفظ داهية عوضا عن ذكي أو لفظ مقاول عوضا عن مدير المشروع فإنه يجري تحميل وشحن وتضمين تلك الألفاظ بمعان أخرى لها وظائف مختلفة تظهر من خلال عملية الحوار. معان تنحي العقل جانبا وتعمل من خلال العاطفة، وهذا يحيد بنا جانبا عن استقامة التحليل إلى فراغات الاستنتاج واستخلاص نتائج قد تكون مغلوطة. لأن الأسلوب أو الآلية التي تم استعمال الألفاظ والكلمات بها أثناء الخطاب غير محايدة، فهي تضيف انفعالات واستمالات ينصرف إليها ذهن المخاطَب بعيدا عن تبيان الحجة. ومن المتوقع أن يقابل الخطاب الذي يعتمد على الألفاظ المشحونة أثناء الحوار والنقاش من جهة المعارضين خطابا يشبهه ويجاريه في بنفس الأسلوب. فنجد المؤيدين يستخدموا كلمات مثل "الرجعيين" أو "الناصريين" إشارة إلى المعارضين وذلك في محاولة تحمل ضمنيا تحجيم معارضة إعادة التمثال في مجموعة صغيرة. في الوقت الذي يستخدمون فيه التعميم "أهالي بورسعيد" للتعبير عن المؤيدين في إشارة لا يخطئها فهم لإثبات إجماع على رغبة أهل المدينة جميعا في إعادة التمثال. وتم استعمال تعبير "عمل ملحمي" للتعبير عن عملية ترميم التمثال للارتقاء بالعمل وإعطاءه أبعادا وطنية. كما تم استخدام كلمات مشحونة بالانفعال مثل "فرّط وباع" بدلا من نَقَل للتعبير عن نقل التمثال إلى خارج بورسعيد للإيحاء بتهاون طرف ما، رغم أن التمثال ملك

هيئة قناة السويس التي يمتد نشاطها ومنشآتها في مدن القناة الثلاث، والتمثال في حوزتها من تاريخ إسقاطه وهي من نقلته إلى متحفها بالإسماعيلية. وبنفس الأسلوب ولنفس الهدف تم استعمال كلمة "سرقة" بدلا من انتقال تلميحا بإدانة طرفا ما. وكما أن هناك ألفاظا ملقمة نستطيع القول بوجود جملا وتعبيرات ملقمة أيضا ضمن خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال ديليسبس. ففي موضع من الخطاب جاءت تلك العبارة "أن عقل ووجدان المصريين عقل تاريخي يحافظ على حِقَبه التاريخية مهما عانى منها" و "وهذا سر حضارة استمرت ٧ آلاف عام مازالت تثبت للعالم أصالتها بفضل ثبات المصريين وحفاظهم على مفرداتهم وانتماءاتهم بصورة مذهلة بعيدا عن التقييم والتحليل لشخصية المصريين". وتعد عبارة " إن عقل ووجدان المصريين عقل تاريخي" من العبارات المشحونة أو المُلَقمة، وهي من المغالطات التي تحمل وظيفة إيعازية بهدف التأثير في المتلقي. وتضيف ظلالا انفعالية، ولا تبدو كلغة محايدة منطقية، بل تمثل فخا يقود إلى استنتاج غير صحيح وتصادر على الحجة لافتراضها العكس. فرغم عدم وضوح المعني أو المقصود بالعقل التاريخي، إلا أن المفهوم من سياق الخطاب هو التمسك بالقديم حتى لو كان سيئا، في محاولة للقفز على خطاب المعارضة الذي ركز ضمن أطروحاته على تورط دليسيبس في أعمال معادية لمصلحة مصر مثل استخدام السخرة وخداع عرابي، لإثبات عدم أحقيته في التكريم بوضع تمثاله على مدخل قناة السويس، ودفعا لحجة المعارضين بأن إسقاط التمثال كان خيار فدائيو بورسعيد ٥٦، وأنه لا يجوز إعادته. وتم ربط ذلك باستمرار الحضارة المصرية آلاف السنين ، والسبب "أن عقل ووجدان المصريين عقل تاريخي يحافظ على حِقَبه التاريخية مهما عانى منها" وهو ربط خاطئ ومهين وكأن الحضارة المصرية امتدت على حساب تسامح المصريين مع أعداءهم. "وهذا سر حضارة استمرت ٧ آلاف عام مازالت تثبت للعالم أصالتها بفضل ثبات المصريين وحفاظهم على مفرداتهم وانتماءاتهم بصورة مذهلة". وفي محاولة للخلاص من وسم الشخصية المصرية بالخنوع في هذه الحالة، تمت مصادرة هذا الرأي مسبقا بجملة "بعيدا عن التقييم والتحليل لشخصية المصريين". وقد حمل الخطاب بهذا التصور اعترافه ضمنا بموقف دليسيبس السلبي وأنه تسبب في معاناة المصريين بالعمل تحت وطأة السخرة أثناء الحفر، ومعاناة الفقر بسبب ديون القناة ثم السقوط تحت سيطرة الاحتلال، وكلها أطروحات المعارضة، تمت الإشارة إليها في جملة "مهما عانى منها". ومع ذلك وحسب الخطاب فإنه يجب إعادة التمثال من أجل الحفاظ على الحقب التاريخية ولأن عقل ووجدان المصريين عقل تاريخي يحافظ على حقبه مهما عانى منها.

● **مغالطة رجل القش**

تقوم على تحريف أو تهوين الحجة أو الرأي الذي تتم محاورته، وذلك بإعادة صياغته وبنائه على نحو يصبح من السهل السخرية منه ونقضه وبيان ضعفه. فيكون من ينسب إليه هذا الرأي كرجل القش الذي يتهاوى بضربة واحدة توحي بأن منتقده أقام عليه الحجة، وهذا على غير الحقيقة. فهو قد وجه نقده إلى ما لم يقال. وما جرى أنه تم تحريف وتزييف رأي الطرف الذي تتم محاورته قصد الاقتدار على نقضه ومغالبته. (٢٥)

تمثل هذه المغالطة إحدى الممارسات الحوارية الغريبة، ومع غرابتها فإنها شائعة ومتكررة بصور مختلفة. أكثر هذه الصور تداولا هو أن يقوم المحاور بترك الأطروحة أو الفكرة التي تعبر عن الرأي الذي يتم حوله الحوار، والتفنن في طرح فكرة أخرى قد ترتبط بالأولى برابط ما، ثم يبدأ في نقدها ونقضها بحيث يخدع الجمهور أنه تفوق بالحجة على الرأي الآخر، في حين لم يقترب من الفكرة الأولى التي يجب الرد عليها. وأغلب الظن أن اللجوء لتلك المغالطة ينتج عن جهل المحاور بجوانب المسألة محل النقاش. وإن بدا للباحثة أن استعمال تلك المغالطة في خطاب الأزمة كان بهدف الإغاظة والتكدير. جاءت المغالطة في خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال ديليسبس على هذا الشكل:

المعارضون : أن الفضل الأول في مشروع حفر قناة السويس يرجع إلى المصريين الذين حفروها في أرضهم، بأياديهم وتحملوا النفقات من خزانتهم، وأن دليسيبس مجرد مقاول قام بتنفيذ مشروع ونال من وراء ذلك ثروة ومجد لا حد له.

المؤيدون: اردموا القناة وهدوا مبنى الكوبانية والفيلل والمباني التي أنشأتها شركة قناة السويس. على هذه الصورة فإن المؤيدين لم يردوا على أطروحة المعارضة ولم يسوقوا حجة أو دليل على كذبها، وإنما انحرفوا بالجدال إلى طريق آخر غير مقبول ولا يمكن الأخذ به للتدليس وإيهام المتلقي أو الجمهور بالغلبة.

مثال آخر

المعارضون: تقاعس دليسيبس عن جلب آلات الحفر وأجبر الوالي على الدفع بالمصريين لحفر القناة باستخدام السخرة فمات منهم ١٢٠ ألف مصري بسبب المرض وظروف العمل السيئة.

المؤيدون: الأهرام بنيت بالسخرة وكذلك كثير من المشروعات فيما بعد مثل مشروع السكة الحديد. فالمؤيدون لم يفندوا الاتهام ولكن ساقوا ما يماثله من خروقات أو تجاوزات في حق المصريين.

النتائج

-من خلال الدراسة تبين أن الاستقطاب حول الموقف من إعادة التمثال، والتوتر والتمسك بالرأي كان السبب الرئيس وراء اللجوء إلى خطاب المغالطة أثناء أزمة تمثال دليسيبس.

- يتضح من رصد المغالطة في خطاب أزمة تمثال دليسيبس أن هناك تداخلا كبيرا في المغالطات التي تداولها منتجو الخطاب، حيث تتضمن الأطروحة الواحدة أكثر من مغالطة.

-تضمن خطاب مستخدمي فيسبوك أثناء أزمة تمثال دليسيبس كثيرا من المغالطات، بعضها جاء بشكل عمدي وبعضها غير مقصود. ومثلت مغالطة الثنائية الزائفة المغالطة الأهم داخل الخطاب، كذلك مغالطة الاحتكام إلى عامة الناس ومغالطة الاحتكام إلى السلطة ومغالطة تجريح الشخص.

-تُحدث المغالطات فوضى أثناء الحوار وتحد من إمكانية التوافق حول رأي موحد يجتمع عليه المتحاورون وبالتالي تزيد من اشتعال الأزمة.

التوصيات

-بناء على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن صياغة بعض التوصيات ويأتي في مقدمتها ضرورة الاهتمام بدراسة خطاب المغالطة دراسة نقدية والاهتمام بتنمية مهارات التفكير النقدي لدى كل فئات المجتمع خاصة الشباب، للتثبت من صحة ما يوجه إليه من خطاب قد يحمل نوايا خبيثة وأهداف مضللة.

-ضرورة متابعة خطاب المغالطة على فيسبوك ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى وتصويبه خاصة أثناء الأزمات، حتى لا يقع الجمهور تحت سيطرة الخطاب المغالط وما يشكله من خطر على أمن وسلامة المجتمع.

. .

الهوامش:

(١) مصطفى عماد عبد الحكيم مصطفى، دور المغالطات المنطقية والتفكير الناقد في تشكيل الوعي، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، ٢٠٢١، ص٣: ٣٩.

(٢) حازم محمد حمادي الصالح، أساليب توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التلاعب بالعقول وانعكاسها على تزييف الوعي لدى الشباب العربي حقائق واقعية وحلول فعلية، مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج، ع ٥٨، ٢٠٢١، ١٦٥: ١٩٦.

(٣) رائد مجيد جبار الزبيدي، الأساليب المغالطية في المطارحات الحوارية التلفزيونية– برنامج الاتجاه المعاكس أنموذجا، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، ع ٥٨، ٢٠٢٠، ص ١٣٠:١٠١.

(٤) ندى بنت حمزة بن عبده خياط، منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج ١، ع٣٦، ٢٠٢٠، ص٢٥٥: ٢٩٦.

(٥) ياسر محمد علي الهبول والسيد محمد علي إسماعيل، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على تهديد الأمن الفكري لطلاب المملكة العربية السعودية في المرحلة الجامعية، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، ٢٠١٩، ص ٥٢٩: ٥٥٢.

(٦) محسن جلوب الكناني وجهاد كاظم العكيلي، المغالطات المنطقية في البرامج الحوارية التلفزيونية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مج ١٧، ع ٤، ٢٠١٨، ص ٦٨٧:٦٥٩.

(٧) عمر بو قمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن–دراسة نقدية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، مج٥، ع ٢، ٢٠٢١، ص٤٥:٤٤.

(٨) حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب– مقاربة تداولية، مجلة مقاليد، ع ١٣، ٢٠١٧، ص٤.

(٩)**The Cambridge Dictionary of Philosophy. Cambridge University Press, ١٩٩٥, p. ٣٧٦.**

(١٠) يوسف صامت بو حايك، رجل القش– الحشو المنطقي الدليل المختصر للمغالطات المنطقية والانحيازات الإدراكية، حروف من نور، ص١٦:١١.

(١١) رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠١٠، ص١٣.

(١٢) زهير الخويلدي، فن المغالطات والحجج الباطلة، مجلة رواق الفلسفة، تونس، ٢٠١٠، ص٣

(١٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة ٢٠٠٤، مكتبة الشروق الدولية، ص٦٥٨.

(١٤) رشيد الراضي، الحجاج مفهومه ومجالاته–دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ٢٠١٠،ج٢، ٧٦٥،٧٧٩.

(١٥) عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧، ص١٧.

(١٦) علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ١٩٨٥، ص٢٣٩.

(١٧) حافظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسانيات والحجاج –الحجاج المغالط– نحو مقاربة لسانية وظيفية، ج٣، عالم الكتب، ص٣٧٣.

(١٨) علي الموسوي، تر صادق النمر، المحاورة بالحيلة– المغالطات المنطقية، ترجمة صادق النمر، جاسبر كولينز للنشر، نيويورك ٢٠١٣، ص ٢٢.

المركز القومي للترجمة، ط١، (١٩) جوليان باجيني، حجج فاسدة تجعلنا نبدو أغبياء، تر عماد صبحي، ٢٠١٠، ص ١٤٠.

(٢٠) أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ط١، منشورات السبيل، ٢٠١٤، ص٣٤.

(٢١) آرثر شوبنهاور، فن أن تكون دائما على صواب، ط١، ترجمة رضوان العصبة، الرباط، دار أمان، ٢٠١٤، ص٧١.

(٢٢) فواز هايف بن جريس الدوسري، ومضات في كشف المغالطات– مختصر في المغالطات المنطقية مع تطبيقات شرعية، ط١، المملكة العربية السعودية، دار طيبة الخضراء، ٢٠٢١، ص٤١.

(٢٣) عمرو منصور، المغالطون– تلخيص لجميع المغالطات المنطقية والانحيازات المعرفية، ط١،بدون، ٢٠٢٣، ص ٥٨.

(٢٤) وليم شانر، الطريق إلى التفكير المنطقي، ترجمة عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١، ص٣٨، ص٩٦.

(٢٥) Pirie, M. : How to win Every Argument, the Use and Abuse of Logic, Continuum, London, New York, ٢٠٠٦, PP ١٥٥–١٥٦

المصادر والمراجع

١- أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ط١، منشورات السبيل، ٢٠١٤.

٢- آرثر شوبنهاور، فن أن تكون دائما على صواب، ط١، ترجمة رضوان العصبة، الرباط، دار أمان، ٢٠١٤.

٣- جوليان باجيني، حجج فاسدة تجعلنا نبدو أغبياء، تر عماد صبحي، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٠.

٤-حازم محمد حمادي الصالح، أساليب توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التلاعب بالعقول وانعكاسها على تزييف الوعي لدى الشباب العربي حقائق واقعية وحلول فعلية، مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج، ع ٥٨، ٢٠٢١.

٥-حافظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسانيات والحجاج -الحجاج المغالط- نحو مقاربة لسانية وظيفية، ج٣، عالم الكتب. بدون.

٦- حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب - مقاربة تداولية، مجلة مقاليد، ع ١٣، ٢٠١٧.

٧-رائد مجيد جبار الزبيدي، الأساليب المغالطية في المطارحات الحوارية التلفزيونية- برنامج الاتجاه المعاكس أنموذجا، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، ع ٥٨، ٢٠٢٠.

٨-رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ليبيا، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠١٠.

٩-رشيد الراضي، الحجاج مفهومه ومجالاته-دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج٢، ٢٠١٠.

١٠-زهير الخويلدي، فن المغالطات والحجج الباطلة، مجلة رواق الفلسفة، تونس، ٢٠١٠.

١١-عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧.

١٢-علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ١٩٨٥.

١٣- علي الموسوي، كتاب مصور عن المحاورة بالحيلة- المغالطات المنطقية، ترجمة صادق النمر، جاسبر كولينز للنشر، نيويورك ٢٠١٣.

١٤- عمر بو قمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن-دراسة نقدية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، مج٥، ع ٢، ٢٠٢١.

١٥- عمرو منصور، المغالطون- تلخيص لجميع المغالطات المنطقية والانحيازات المعرفية، ط١، بدون، ٢٠٢٣.

١٦- فواز هايف بن جريس الدوسري، ومضات في كشف المغالطات- مختصر في المغالطات المنطقية مع تطبيقات شرعية، ط١، المملكة العربية السعودية، دار طيبة الخضراء،٢٠٢١.

١٧-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.

١٨- محسن جلوب الكناني وجهاد كاظم العكيلي، المغالطات المنطقية في البرامج الحوارية التلفزيونية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مج ١٧، ع ٤، ٢٠١٨.

١٩-مصطفى عماد عبد الحكيم مصطفى، دور المغالطات المنطقية والتفكير الناقد في تشكيل الوعي، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، ٢٠٢١.

٢٠-ندى بنت حمزة بن عبده خياط، منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج ١، ع٣٦، ٢٠٢٠.

٢١- وليم شانر، الطريق إلى التفكير المنطقي، ترجمة عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١.

٢٢-ياسر محمد علي الهبول والسيد محمد علي إسماعيل، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على تهديد الأمن الفكري لطلاب المملكة العربية السعودية في المرحلة الجامعية، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، ٢٠١٩.

٢٣-يوسف صامت بو حايك، رجل القش- الحشو المنطقي الدليل المختصر للمغالطات المنطقية والانحيازات الإدراكية، حروف من نور، الفصل الرابع، بدون.

٢٤- Pirie, M. : How to win Every Argument, the Use and Abuse of Logic, Continuum, London, New York, ٢٠٠٦ .

٢٥The Cambridge Dictionary of Philosophy. Cambridge - University Press, ١٩٩٥